■ الدراسة الثالثة :

المرحلة التالية للتعامل مع إيران..
المفاوضات في الإطار الإقليمي

بقلم : ايميلي لنداو

ثمة مواجهات قبالة المجتمع الدولي حيال البرنامج النووي الإيراني ، أهمها أنه منذ سبع سنوات كاملة ، وهذا المجتمع يتعاطي مع تحديات وجود إيران في مراحل تطورها لإنتاج برنامج نووي ، وسيرها بخطوات حثيثة لإتمام هذا البرنامج منذ الإعلان عنه ، في عام ٢٠٠٢ ، وقضية أخرى لم ينتبه لها المجتمع الدولي ، وتتعلق بالمدى الذي يتجه إليه هذا البرنامج النووي ؟! رغم أن هناك أصوات طالبت بإدراج إيران ، أو دخولها اتفاقية حظر انتشار السلاح النووي ، أو التوقيع على هذه الاتفاقية التي تحظر انتشار السلاح النووي ، فضلاً عن أن وجود برنامج نووي إيراني يعني أن ثمة مصالحًا مشتركة لبعض الدول في العالم ، وكذا حيال وجود خطر أو تهديد ما من هذا البرنامج لدى دول منطقة الشرق الأوسط.

حاولت إسرائيل منذ عام ٢٠٠٥ ، تعريف المجتمع الدولي بمخاطر وتهديدات البرنامج النووي الإيراني، باعتباره برنامجًا عسكريًا، وكذلك محاولة تقويض أركانه ، أو تحجيمه ، وتوقيفه، فقد تقدمت بعض الدول الأجنبية لمعالجة هذا الملف بطرق سياسية ، ودبلوماسية ، ولكن كل هذه الطرق أو المسارات التي اتبعت مع إيران أثبتت فشلها، ولم تنجح في الدخول في مفاوضات كاملة مع إيران سياسيًا ، وعسكريًا ، ومحاولة إدراج الملف النووي الإيراني على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية « إن بي تي » .

حاول الرئيس الأمريكي الجديد، باراك أوباما، أن يتفهم طبيعة البرنامج النووي الإيراني، وعدم تأثيره على منطقة الشرق الأوسط، فحسب، وإنما على العالم بأسره، مع الإشارة إلى أن هناك علاقة وطيدة بين السياسات الدولية، والسياسة الإقليمية كجزء ضمن مرحلة استراتيجية مهمة للتعاطي مع البرنامج النووي الإيراني، وتعريف منطقة الشرق الأوسط، والخليج العربي، والدول العربية بشكل خاص، حول مدى خطورة النووي الإيراني على أمنها القومي.

يواجه العالم خطر آخر ممثل في أن إيران تحاول فرض سيطرتها، ونشر ثقافتها على دول المنطقة، على اعتبار أنها باتت بالفعل قوة نووية شرق أوسطية، غير أن هناك دول عربية تؤيد سياسة إيران النووية، وترى أنه أمر ضروري أن تحظى إيران كدولة إسلامية بمظلة نووية.

أوضحت عملية الرصاص المصبوب على قطاع غزة، نهاية العام الماضي، أن ثمة تغييرات على الساحة الدولية، وخاصة الإقليمية، وتحديدًا على إيران، حيث برزت بشكل كبير التحديات التي تواجه إسرائيل من قبل حماس، وحزب الله، وسوريا، وإيران، ومدى التحالف الإيراني مع سوريا تحديدًا، وما يشكله هذا التحالف من خطورة على الأمن القومي الإسرائيلي، وكذلك حيال مواجهة الدول العربية المعتدلة لسياسات إيران، والدول الموالية لها، ويجب أن نذكر في هذا الشأن أن إيران تعتبر البحرين جزء من أرضها التاريخية، وملك لها، وكذلك صراع الإمارات العربية المتحدة مع إيران على الجزر الثلاث بالخليج العربي، يقابلها اعتراض مصر على السياسات الراديكالية لإيران في المنطقة ككل، ووضح ذلك جليًا بعد عملية الرصاص المصبوب.

يبدو أن بعض الدول العربية مستاءة من طريقة التعامل مع الحوار الإيراني-

الأمريكي ، لأنها تعتقد أن هذا الحوار يأتي على حساب الدول العربية المعتدلة ، والتي ترى أن هذا الحوار يؤثر على علاقاتهم بالإدارة الأمريكية ، وعلى مصالحهم المشتركة معها ، وعلى علاقتهم بالعالم ككل .

■ المفاوضات الأمريكية ـ الإيرانية :

تدار في هذه الأيام مفاوضات إيرانية ـ أمريكية حول البرنامج النووي الإيراني ، والعلاقات الأمريكية بالمنطقة ، حتى أن مستقبل المنطقة بات محفوفًا بالمخاطر ، ومرهونًا بنتائج هذه المفاوضات ، لكن إيران في نفس الوقت تضع أجندة لمصالحها في المنطقة على طاولة المفاوضات الأمريكية ـ الإيرانية ، ومن بين هذه الموضوعات شروط الولايات المتحدة للانسحاب من العراق ، ومخاطر أمن دول الخليج العربي ، أو مدى تأمين الخليج العربي بوجه عام، وكذا علاقة إيران بحماس ، وحزب الله، وكذلك الحفاظ على الأمن القومي لإسرائيل، كما أنه في مقابلة مع الرئيس ، باراك اوباما ، قبل أسبوع من توليه مهام منصبه ، ومع قرب انتهاء عملية الرصاص المصبوب ، قال إنه سيتعامل مع إيران على أساس محاربة الإرهاب ، سواء مع حماس ، أو حزب الله ، وتأييد إيران لهما ، لكن هذا لا يعني أن إيران باتت تلعب دورًا دوليًا كبيرا .

لإنجاح المفاوضات بين الطرفين الإيراني والأمريكي ، يجب أن تدخل الولايات المتحدة مائدة المفاوضات من موقف قوة ، وإن عمد باراك اوباما ، على أن تُحترم رؤية الإدارة الأمريكية ، وقوتها على هذه المائدة ، وهذا لا يعني أن واشنطن ليست قلقة ، أو لم يسودها فترة توتر من هذه المفاوضات في حال فشلها ، أو وصولها إلى نتائج غير ملموسة، فهناك احتمالات ألا تقوم بإدارة مباحثات مع إيران لمدة ثلاث سنوات قادمة ، مثلاً، أو محاولة عرقلة تخصيب اليورانيوم لإيران ، لكن يبدو أن الأمر يسير بخطى ثابتة نحو تخصيب اليورانيوم لإيران في الخارج !

ستحاول الإدارة الأمريكية إدارة مفاوضات مختلفة هذه المرة مع إيران ، يعني أنها ستتبع سياسة « خد وهات » ، على أن تكون طهران مستعدة ، تمامًا ، لهذه المفاوضات ، أو المباحثات ، و تدخلها بنية طيبة ، وبنية أن يكون هناك تغيير ملموس في الموقف الإيراني تجاه برنامجها النووي ، لكن تجدر الإشارة إلى أن إيران تغيرت إلى حد ما ، منذ منتصف عام ٢٠٠٥ ، حينما اختار الإيرانيون محمود أحمدي نجاد ، رئيسًا للبلاد ، والذي يكره إسرائيل ، ويعمد على حرقها .

فشل الرئيس الأمريكي السابق ، جورج بوش ، في سياساته تجاه إيران وكوريا الشمالية ، منذ عام ٢٠٠٣ ، ولم يقم مباحثات حول وضع كوريا الشمالية ، رغم إدارة كوريا الجنوبية لبعض الجولات الحوارية ، فإنها فشلت خاصة من الإدارة الأمريكية السابقة ، بينما تعززت إيران بشكل قوى مع برنامجها النووي وفشل بوش أمامها ، ما قوى وعزز موقفها النووي ، أيضًا ، وعاد هذا على الموقف الإقليمي لإيران ، وكذلك على قضايا الشرق الأوسط ، بمعنى أنه ترك أثره السلبي على قضايا المنطقة ككل .

في الوقت الذي فشلت فيه الإدارة الأمريكية في عرقلة البرنامج النووي الإيراني ، قامت طهران باستغلال الوقت بشكل جيد جدًا ، وأحسنت استغلاله ، ونجحت في عرقلة الإدارة الأمريكية ، أو تأجيل مباحثاتها إلى أبعد وقت ممكن حتى تستكمل برنامجها النووي ، واعتقد أن طهران نجحت في ذلك ، تمامًا .

عمدت الولايات المتحدة الأمريكية على توقيع عقوبات اقتصادية على إيران ، خارج إطار مجلس الأمن الدولي ، نتيجة لمساندة روسيا الواضحة لإيران حيال إقرار أي عقوبات سابقة لإيران في المجلس ، ورفضها توقيع عقوبات قاسية عليها ، نتيجة لحقها الطبيعي في استخدام الفيتو .

■ تغييرات إقليمية :

كل يوم يمر على إيران ، وهى مستمرة في موقفها النووي بخطى حثيثة ، يقوى ويعزز موقفها ، وموقعها الإقليمي ، والدولي في منطقة الشرق الأوسط ، حيث اعتبر توماس فريدمان من قبل أن إيران ستكون اللاعب الاستراتيجي في الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، فحتى منتصف عام ٢٠٠٥ ، كان هناك تخوف عربي من قدرات إيران النووية ، وتحولها إلى بعبع نووي كبير ، لكن تغيرت هذه الرؤية ، أو الفكرة العربية تجاه إيران منذ العام الماضي ، حيث ازدادت درجة الخوف ، واعتبروا أن ثمة هجمة إيرانية على المنطقة ، وتحديدًا منذ نوفمبر ٢٠٠٨ ، حينما عقدت قمة أمريكية عربية في شرم الشيخ بمصر ، حضرها كل من وزراء خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد الأوربي ، والبحرين ، و الأردن ، والمغرب ، والإمارات ، بالإضافة إلى مصر بالطبع ، حيث أعربوا جميعهم عن قلقهم من التمدد الإيراني في منطقة الشرق الأوسط ، فيما أعربوا ، أيضًا ، عن رغبتهم في وصول مباحثات دول ٥+١ وإيران إلى حلول ناجعة للبرنامج النووي الإيراني ، الذي اعتبروه خطرًا محدقًا للدول العربية ، وللمنطقة ككل .

لقد تركت عملية الرصاص المصبوب أثرًا طيبًا على إيران ، ومؤيديها في العالم العربي ، فقد عززت الحرب على غزة من موقفها الراديكالي ، لأن إيران نجحت في استخدام ذراعها العسكري بالمنطقة ، حركة حماس بقطاع غزة ، في تنفيذ السياسات الإيرانية ، واعتبرت أن نجاح حماس في العملية العسكرية هو نجاح لها بشكل واضح ، كما أن إيران ستعمد خلال المرحلة المقبلة على استخدام مؤيديها من المقاومة الفلسطينية ، سواء تمثلت في حماس ، أو أي تيار فلسطيني آخر ، وكذا التيارات المقاومة في المنطقة في زعزعة الاستقرار ، واستخدامها كورقة ضغط في

الملف الفلسطيني – الإسرائيلي، وكذا ضد الولايات المتحدة الأمريكية .

يرفض الرئيس باراك أوباما ، دخول المفاوضات مع إيران بدون وضع أجندة معينة ، أو بشروط مسبقة، لكن علينا أن نعترف بأنه مع وضع مصر ، والسعودية ، ودول الاعتدال العربي خططها لإجهاض المشروع التوسعي الإيراني ، فإنه سيثمر ، وسيأتي بنتائج طيبة على الصعيد الإقليمي ، خصوصًا وأن هناك تحركات في هذا المضمار ، كما أن السعودية ، ومصر أدارتا سياسة مغايرة ، أو مختلفة أمام حماس بعد الحرب على غزة ، على اعتبار أن حماس تضر بمصالح مصر ، حتى أن وزير الخارجية المصري ، أحمد أبو الغيط ، صرح غير مرة بذلك ، وتشديده على رفض القاهرة التيار الراديكالي، واختيارها لمسار السلام !

غيرَّت عملية الرصاص المصبوب من معادلة الشرق الأوسط ، رغم أن نتائجها كلها لم تنجل بعد ، نكن لاشك في أن نتائجها ستغير خريطة الشرق الأوسط بأسره . أهم هذه النتائج أنها أفرزت تيارين في العالمين ، العربي والإسلامي ، تيار الاعتدال العربي ، وتيار المقاومة ، أو التيار الراديكالي ، وإن حاولت مصر ، وقطر ، والأردن ، وتركيا وقف الحرب لاستعادة قوة كل منهم الإقليمية على حساب الحرب نفسها .

لكن فرَّقت الحرب بشكل واضح بين التيارين المعتدل والراديكالي ، وان أعربت السعودية عن عزمها الشروع في إقامة مفاعلات نووية لمواجهة البرنامج النووي الإيراني ، في حين أن التيار العربي المعتدل رأى أنه يجب التصدي للجموح الإيراني ، حتى ولو دخلت الإدارة الأمريكية في حوار مع طهران ، كما أن دول الخليج العربي تعتبر أن هذه الحوار يكمن في تقديم مساعدات إيرانية للإدارة الأمريكية في كل من العراق وأفغانستان ، مقابل حفظ الأمن لإيران ، وأنه من المحتمل أن تكون صفقة أمريكية ـ إيرانية على حسابهم ككل ، وبأنهم سيكونون خارج الصورة !

■ الخاتمة :

تنظر دول الخليج العربي إلى الحوار الأمريكي ـ الإيراني ، بأهمية كبيرة ، لأنه سيحدد سياسات واستراتيجيات المنطقة بشكل عام ، في المرحلة القادمة ، فاحتمال فرض عقوبات جديدة على إيران يندرج ضمن سياق الدبلوماسية ، أو إتباع السياسة تجاه إيران من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي سياسة لم تبشر بخير ، مع التأكيد على أن هذه المباحثات لن تكون بسيطة أو سهلة ، فقوة إيران قد تعززت بعد عملية الرصاص المصبوب ، ووضحت سياساتها تجاه المنطقة ، والإشارة إلى أن هناك خطورة على الأمن القومي لكل من الولايات المتحدة ، وإسرائيل ، معًا ، من البرنامج النووي الإيراني ، والتوسع الإيراني في المنطقة .

◆◆◆